نحو منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين حديث "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها نموذجاً"

نماء محمد البنا*

الملخص

هذا البحث مثال على التفاوت والاختلاف في منهجية التعامل مع السنة النبوية بشكل عام، وأحاديث الصحيحين بشكل خاص. هناك مدرستان في ذلك؛ إحداهما ترى ضرورة قبول الأحاديث الموجودة فيهما وعدم السماح بمناقشتها أو فهمها فهماً جديداً أو ردّها؛ وأخرى ترى ضرورة المراجعة الشاملة للسنة، وردّ ما قد يبدو متعارضاً مع العقل، حتى وإن ورد في الصحيحين واستجمع شروط الصحة، وتطرح الباحثة في هذا البحث منهجية لمدرسة ثالثة تقول: إن الحديث إذا استجمع شروط الصحة، وهو ممكن عقلاً، إلا أن فهمه مُشكِل، فلا مانع من التوقف فيه، دون ردّه ودون دفاع عنه، مع التزام ثوابت أخرى لهذه المنهجية أوردتها الباحثة في خاتمة بحثها.

الكلمات المفتاحية: أحاديث الصحيحين، نقد الحديث، حديث نبوي.

"Towards a Methodology of Dealing with Critiqued *Hadiths* in the Two *Sahihs*"

Abstract

This study is an example of the differences existing among scholars in the methodology of dealing with the *sunnah* of prophet Muhammad peace be upon him, and in *Sahih Bukhari* and *Sahih Muslim* in particular. There are two schools in this regard, the first adopts the idea of accepting *hadiths* of the two *sahihs*, understanding them as they are, and not dismissing them. The second school allows a comprehensive revision of the *sunnah*, and rejects what seems in conflict with reason, even if the *hadith* appears in one of the two *sahihs*. The author presents a third school which says: if the *hadith* has all the conditions of being *sahih* and is in line with reason, but it presents a problem in its understanding, there will be no problem to question the *hadith* without rejecting it all together.

Keywords: prophetic *hadith*, critiquing *hadith*, *sahihan*.

---

* أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد، كلية الشريعة- الجامعة الأردنية. البريد الإلكتروني: nmbanna@gmail.com

تم تسلّم البحث بتاريخ ٢/٨/٢٠١٠م، وقُبل للنشر بتاريخ ٨/٣/٢٠١١م.

مقدمة:

اختلفت منهجية المشتغلين والمهتمين بالحديث النبوي في التعامل مع السنة النبوية، ونشأت من هذا الاختلاف مدارس متنوعة في نظرتها وتعاملها مع الحديث النبوي الشريف، لا سيّما في تعاملها مع الصحيحين، فقد انتُقد في الصحيحين عدد من الأحاديث، من جهات متنوعة؛ فتارة ينتقدها الكارهون لهذا الدين، الحاقدون على تراثه قرآناً وسنة، فنراهم يتصيدون الإساءة بخفاء حيناً، وبكُرْهٍ واضح جليٍّ حيناً آخر؛ وتارة ينتقدها العقلانيون الحداثيون الذين وجدوا في واحد من الأحاديث مخالفة للعقل والمنطق؛ وتارة ينتقدها علماء المسلمين ممن لا نشك في حبهم للدين، وخدمتهم له، وحرصهم على الدفاع عنه بوضع سد منيع في وجه من تسوّل له نفسه الطعن بهذا الدين.

تهدف هذه الورقة إلى عرض مقاربة منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين، وذلك من خلال طرح أنموذج لحديث منتقَد، وكيف تم تناوله بمنهجيات مختلفة تبعاً لاختلاف المدارس التي ينتمي إليها المنتقدون والمدافعون، ثم مناقشة المواقف والترجيح بينها.

والحديث المختار للدراسة هو أحد الأحاديث المنتقدة على الصحيحين، وهو حديث "لولا بنو إسرائيل لم يخنز الطعام، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر." وقد تناولت فيه الباحثة الحديث ضمن منهجية قائمة على دراسات الروايات وتبيّن اتجاهات الباحثين في التعامل مع الحديث ومناقشتها.

أولاً: منهجية التعامل مع السنة النبوية

طبيعة البشر في كل زمان ومكان أن يختلف تعاملهم مع الأشياء والأفكار، تبعاً لاختلاف تصوراتهم ومعلوماتهم عنها. ولما كانت أفكار البشر لا يمكن أن تتحد بصورة مطلقة، فقد أقر الإسلام الاختلاف والتنوع في شتى المجالات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨).

ولأن أفكار الإنسان وتصوّراته تنبع من معرفته بالمبادئ والثقافات وفهمه للبيئة التي يحتك بها، ومن تاريخه ولغته وعقيدته، كان لا بد أن تختلف قناعاتنا تجاه العلوم والقضايا المتنوعة، بل وتختلف تصوراتنا تجاه القضية الواحدة والمسألة العلمية الواحدة، طالما لم تصل بعد إلى درجة القطعية، وحتى إن وصلت فإنه ربّما يختلف منهج التعامل معها.

ومن أهم العلوم التي نلمس فيها اختلافاً في منهجية التعامل معها -مع التسليم بشرفيتها ووصولها إلى درجة الثبوت القطعي أحياناً- العلوم النقلية، وبالذات السنة النبوية؛ لأن القرآن الكريم ثابت ثبوتاً قطعياً في كل حرف من حروفه، فلا يملك أحدهم أن يناقش في ثبوته، إلا أن هناك مساحة جيدة للنقاش في مدلول آياته وفهمها وتنزيلها على أرض الواقع. أما السنة النبوية فغالبها ثبت بطريقة ظنية؛ أي أحاديث آحاد، مما جعل المساحة متسعة للاختلاف في منهجية التعامل معها، سواء من فئة مُحبّة لها وحريصة على الذبّ عنها، أو من فئة مُغرضة لها دوافع غير سليمة للنيل منها والتشكيك فيها ثبوتاً ومدلولاً.

وبشكل عام يمكننا القول إنّ اختلاف منهجية التعامل مع العلوم النقلية يمكن أن تنضوي تحت الأنواع الآتية:

- النوع الأول: التسليم التام بثبوتها، وهذا مجمع عليه بالنسبة للقرآن الكريم. والاختلاف هنا يظهر في فهم هذه النصوص، وكيفية التعامل معها، وكيفية تنزيلها على أرض الواقع، وإلى أي حد يُسمح لأقوال الصحابة والتابعين والمفسرين أن تأخذ حيزاً في فهمها وتنزيلها واقعياً.

- النوع الثاني: التسليم التام لبعض نصوص السنة النبوية؛ وأقصد هنا كتابيْ صحيح البخاري وصحيح مسلم، وعدم التسليم لغيرهما من النصوص، إلا إذا نصّ أحد العلماء المعتبرين على تصحيح نصّ معين، ولا يقبل بعد ذلك أي نص إلا بعد أن يُمحّص ويخضع لعلوم الحديث، رواية، ودراية؛ كعلم الجرح والتعديل، وعلم الرجال، وعلم العلل، وعلوم الحديث الأخرى المعنية بالتصحيح والتضعيف والقبول والرد.

ويظهر الاختلاف هنا في منهجية التصحيح والتضعيف، وفي قبول أحكام من صحّح وضعّف، أو قَبِل وردّ. أما بالنسبة للصحيحين فالأمة تلقت كل ما فيهما بالقبول، ونصّ علماء الحديث على أن كل ما فيهما ثابت ومقبول وصحيح حديثياً.

- النوع الثالث: عدم التسليم لكل نصوص السنة النبوية بما فيها الصحيحين؛ لأنهما كتابان في الحديث كأي كتاب فيه. وصاحباهما بشر معرضان للخطأ والصواب كغيرهما، وأحاديثهما أحاديث آحاد، فلم هذه الهالة تجاه نقد أي حديث في الصحيحين؟

والاختلاف هنا يكمن في طبيعة التعامل مع الصحيحين، وأخلاقيات القبول والرد لما قُبل أو رُدَّ من أحاديث الصحيحين؛ فمن محترم لها ومقدّر لمنزلتها، لكنه لا يملك، أمام حديث يعتقد أنه لا يمكن قبوله عقلاً حتى وإن صحّ سنداً ومتناً، إلا أن يعتذر عن قبوله. وهؤلاء لا يُشك في نواياهم وحبهم لخدمة السّنة النبوية.

ومن متّهم لصاحبي الصحيحين بجنايتهم على هذا الدين، بما أودعوه من أحاديث مكذوبة وإسرائيليات،[1] وخلُص إلى نتيجة مفادها: إذا كان هذا هو حال ما يُعتقد أنه أصح الكتب في الحديث، فكيف بما هو دونها في المكانة، ومن ثمّ لا نؤمن بأية رواية حديثية، ولنكتفِ بالقرآن. وتعدى الأمر إلى أن طعن هؤلاء ببعض الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث.

بناء على ذلك نشأ لدينا اختلافان(النوع الثاني والثالث) في منهجية التعامل مع السنة النبوية، ودائرة الاختلاف الأهم والأولى هي أحاديث الصحيحين؛ وذلك لما للصحيحين من مكانة في نفوس المسلمين بشكل عام، وأصحاب العلم الشرعي بشكل خاص، ولأن الصحيحين اكتسبا ثقة وصحة علمية زمانية، جعلت التعرض لأحاديثهما مرفوضاً، وقد يتعدى الأمر إلى اتهام نوايا من يتعرض لهذه الأحاديث.

انعكست منهجية هاتين المدرستين في تعامل كل منهما مع الصحيحين، وبالذات مع الأحاديث التي أشكل فهمها عند متناوليها؛ فمدرسة تؤمن بصحة كل حديث في

[1] انظر: أوزون، زكريا. **جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين**، بيروت: رياض الريس، ط١، ٢٠٠٤هـ.

الصحيحين، وتتبنى الدفاع عن كل ما فيهما من أحاديث. وإن أُشكل فَهْم بعض المتون فهي تلجأ للتأويل، بل وتتهم نفسها وغيرها بالقصور في الفهم، لكنها لا تردّ أي حديث، حتى وإن كان هذا التأويل بعيداً، ويعتمد على ما يرفضونه علمياً كالإسرائيليات أو الروايات غير الموثوقة، بل تعتقد أن ردّ أي حديث في الصحيحين، يعدّ مؤشراً لفكر غير سوي، ينبغي الاحتراز ممن يذهب إليه.

ومدرسة أخرى تُخضع كل حديث في الصحيحين لنقد عقلي، فصحة السند والمتن لديها معتبرة، لكن هناك ما بعدها، فلا بدّ بعد الدراسة الحديثية للمتن من رؤية عقلية متوازنة، تخدم السنة وتنزهها عما لا يليق بها من النصوص، كما تعمل على كف الألسنة من الحاقدين المغرضين، فتكون هي بإخلاصها وحبها لسنة نبيها قد ألجمت أفواه من تسوّل له نفسه بالانتقاص من السّنة، أو الاستهزاء بالدين الإسلامي من خلال الطعن بمثل هذه المرويات، قبل أن يتعرضوا وتتعرض السُّنة لكلام هؤلاء، فكأنه نوع من نقد الذات بحبٍّ وإخلاص، قبل أن يأتي النقد من الآخر الـمُغرِض المتهور، فإن أُشكِل عندهم حديث موجود في الصحيحين، واستجمع كل شرائط الصحة، وله علاقة بأهل الكتاب لا يجدون حرجاً في نسبته للإسرائيليات، حتى وإن احتمل مَتْنُه معنى آخر، أو ببساطة قالوا: هذا لا يمكن أن يقبله عقل ومن ثم فنحن نردّه، دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء البحث عن معنى قد يزيل الإشكال، ويعطون مبررات عقلية قد لا تستند إلى منهجية علمية.

يلاحظ أن كلاً من المدرستين لا ينقصه حسن النوايا، ولكنهما جانبا الصواب في تعقُّب كل منهما لأفكاره، دون محاولة الوصول إلى منطقةِ تَقاربٍ، تحترم فيها ضوابط علوم الحديث ويحترم فيها العقل، واتهام كل منهما للآخر؛ فالمدرسة الأولى تتهم أولئك بتقديم العقل على النقل، وأنها ترد متن الحديث الذي استكمل شروط الصحة بالعقل الذي لا ضابط لردّه، فمن أساسيات علوم الحديث أن من علامات الحديث الموضوع مخالفته لصريح العقل، لكن هؤلاء يردون الحديث بشبهة عدم قناعتهم بمضمونه عقلاً.

والمدرسة الثانية تتهم الأولى بالجمود والوقوف خلف قواعد حديثية جامدة، وعدم اعتبارها للنقد العقلي للحديث، وتمترسها خلف أقوال كانت تليق بأصحابها في زمانهم، لكنها لا تليق بزمن العلم والتقدم والتطور، وعدم قبولهم مناقشة الحديث بمنطق بائد، وهو أنه موجود في الصحيحين وكفى.

من هنا جاءت هذه الدراسة للتقريب بين المدرستين، دون تحيز لإحداهما على أخرى، إلا التحيز للحق، والعقل الدال على الحق، قدر الاستطاعة، ولمحاولة بناء منهجية مقنعة للطرفين للتعامل مع أحاديث الصحيحين الـمُشكِلة على الأفهام. وتتناول الدراسة أحد هذه الأحاديث، بوصفه نموذجاً لهذه المنهجية، والله أسأل السداد والتوفيق.

ثانياً: روايات الحديث وتخريجه

انفرد الصحابي الجليل أبو هريرة برواية هذا الحديث، ورواه عنه أربعة من الرواة، وهم:

١. همّام بن منبه:[٢] ويرويه البخاري[٣] ومسلم[٤] وأبو عوانة[٥] وابن حبان[٦] وأبو نعيم[٧] جميعاً من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة مرفوعاً، بلفظ "لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر." ولا يوجد في رواية البخاري"لم يخبث الطعام."

[٢] هو همام بن منبّه صاحب الصحيفة. ثقة، وحديثه في الصحيحين، قال عنه الذهبي: ثقة متقن، والصحيفة أكثرها في الصحيحين، ورواة الحديث ثقات. وهذا الحديث مما اتفق الشيخان على إخراجه من صحيفة همام بن منبّه. انظر:
- الذهبي، محمد بن أحمد. **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ، ج٥، ص٣١١، وج٩،ص٥٧.

[٣] البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط٣، ١٩٨٧م، كتاب الأنبياء، باب قول الله عزّ وجلّ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة، ج٣، ص١٢٤٥(٣٢١٨).

[٤] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث، كتاب الرضاع، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر ج٢، ص١٠٩٢(١٤٧٠).

[٥] ابن حنبل، أحمد. **المسند**، مصر: مؤسسة قرطبة، ج٣، ص١٤٣.

[٦] ابن حبان، محمد بن حبان. **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣م، باب: ذكر بعض السبب الذي من أجله تخون النساء أزواجهن، ج٩، ص٤٧٧(٤١٦٩).

[٧] أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني. **حلية الأولياء**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ، ج٨، ص٣٨٩.

وعند البخاري[٨] رواية ثانية من طريق ابن المبارك، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة مرفوعاً بمثل لفظ المتن السابق، إلا أنني أعتقد أنه قد حصل لبس؛ ففي حديث الباب يورد البخاري حديث أنس بن مالك ﷺ في إسلام عبد الله بن سلام، ثم يذكر البخاري بسنده إلى أبي هريرة ويقول نحوه. والمعلوم عند أهل الحديث أن لفظ نحوه تعود لرواية المتن السابق من طريق آخر، ثم يأتي أحدهم -ولعلّه أحد النساخ- فيقول:

يعني لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها، فلا دليل أبداً على أن الحديث بهذا المتن من رواية البخاري، إنما هو تصرف بعض الرواة أو النسّاخ. وقد اختلف شُرّاح الصحيح في توجيه هذه اللفظة، لأنه لم يرو هذا المتن أحد أبداً من طريق ابن المبارك، عن معمر؛ إذ يقول ابن حجر: "قوله عن النبي ﷺ "نحوه" لم يسبق للمتن المذكور طريق يعود عليها هذا الضمير؛ وكأنه يشير به إلى أن اللفظ الذي حدثه به شيخه هو بمعنى اللفظ الذي ساقه، فكأنه كتب من حفظه وتردد في بعضه.. يعني ولم أره من طريق ابن المبارك عن معمر إلا عند المصنف."[٩]

ويعترض العيني على كلام ابن حجر؛ إذ يقول: "هذا ما فيه كفاية للمقصود، ولا له التئام من جهة التركيب؛ لأن الذي يذوق دقائق التراكيب ما يرضى بهذا الذي ذكره، بل الظاهر أن ها هنا وقع سقط جملة، لأن لفظة نحوه أو مثله لا يذكر إلاَّ إذا مضى حديث بسند ومتن، ثم إذا أريد إعادته بذكر سند آخر يذكر سنده ويذكر عقيبة لفظ نحوه أو مثله؛ أي نحو المذكور، ولا يعاد ذكر المتن اكتفاء بذكر السند فقط؛ لأن لفظ نحوه ينبيء عن ذلك، والذي يظهر لي بالحدس أن البخاري روى قبل هذا عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ "لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر،" ثم رواه عن بشر بن محمد، عن عبد الله، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- عن النبي

---

[٨] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، ج٣، ص١٢٠٩(٣١٥٢).

[٩] ابن حجر العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ج٦، ص٣٦٧.

ﷺ ثم قال: "نحوه" أي: نحو الحديث المذكور، ثم فسر ذلك بقوله: "يعني لولا بنو إسرائيل إلى آخره" وإنما ذكر لفظ "يعني" إشارة إلى أن المتن الذي ذكره عبد الله بن المبارك عن معمر يغاير المتن الذي رواه عبد الرزاق عن معمر ببعض زيادة وهو قوله: "لم يخبث الطعام" وفي آخره لفظ الدهر."[١٠]

أما السخاوي فقد أشار إلى هذه الرواية بالذات؛ إذ يقول: "فإنه أخرج في خلق آدم من أحاديث الأنبياء من طريق ابن المبارك، عن معمر، وعن همام عن أبي هريرة عن النبي فقال: "نحوه" وقال عقبة ما نصه: "يعني لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها" وكأنه لكون الرواية المحال عليها لم يسمعها أو سمعها بسند على غير شرطه أو نحو ذلك."[١١]

والذي أرجحه كما قلت سابقاً أن الرواية المحال عليها هي إسلام عبد الله بن سلام، ولعله إدخال من بعض النسّاخ في تفسير قوله نحوه، والله أعلم.

٢. أبو يونس مولى أبي هريرة: واسمه سليم بن جبير الدوسي، ويروي مسلم[١٢] وأبو نعيم[١٣] وأبو عوانة[١٤] كلهم من طريق عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة مرفوعاً مقتصراً في متنه على "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" باستثناء كلمة الدهر عند أبي عوانة.

٣. خلاس بن عمرو الهجري: ويرويه الإمام أحمد،[١٥] وإسحاق بن راهويه،[١٦] وأبو نعيم،[١٧] والحارث،[١٨] جميعاً من طريق عوف الأعرابي عن خلاس عن أبي هريرة مرفوعاً بمثل لفظ رواية همام.

---

[١٠] العيني، بدر الدين. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار إحياء التراث، ج١٥، ص٢١١.

[١١] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. **فتح المغيث**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م، ج٢، ص٢٩٧.

[١٢] مسلم، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، كتاب الرضاع، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، ج٢، ص١٠٩٢(١٤٧٠).

[١٣] أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله الأصفهاني. **المسند المستخرج على صحيح مسلم**، تحقيق: محمد الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، ج٤، ص١٤٣.

[١٤] أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق. **مسند أبي عوانة**، بيروت: دار المعرفة، ج٣، ص١٤٣.

[١٥] ابن جنبل، **المسند**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٠٤.

٤. محمد: يرويه الحاكم في المستدرك[١٩] من طريق روح بن عبادة، عن عون، عن محمد، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ البخاري؛ أي دون عبارة: "لم يخبث الطعام" وقال عقبة: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه."

ثالثاً: اتجاهات الباحثين في التعامل مع الحديث

١. موقف من قَبِل الحديث:

كل مَن تناول الحديث من الشراح المتقدمين قِبل الحديث -حسب ما وقفت عليه- لجأوا للتأويل، لأن الحديث، على ظاهره ولأول وهلة، يوقع في النفس توجساً من قبوله على معناه الظاهر. يقول المناوي في شرحه الحديث: "يعني: لولا أنهم سنّوا ادخار اللحم حتى خنز لما ادخر لحم يخنز، فهو إشارة إلى أن خنز اللحم شيء عوقب به بنو إسرائيل لكفرانهم نعمة ربهم، حيث ادخروا السلوى فنتن، وقد نهاهم عن الادخار ولم يكن ينتن قبل ذلك، وفي بعض الكتب الإلهية لولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء عن الفقراء، ولولا حواء.. يعني.. لولا خيانة حواء لآدم في إغوائه وتحريضه على مخالفة الأمر بتناول الشجرة... وليس المراد بالخيانة الزنا حاشا وكلا، لكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وزينت ذلك لآدم مطاوعة لعدوه."[٢٠]

أما ابن حجر شارح صحيح البخاري فيقول: "قوله لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم... أي ينتن، والخنز: التغير والنتن، قيل أصله أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك،.. وقال بعضهم: معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا

[١٦] ابن راهويه، إسحاق. **المسند**، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، المدينة المنورة: دار الإيمان، ط١، ١٩٩١م، ص١٦٨.

[١٧] أبو نعيم، **حلية الأولياء**، مرجع سابق، ج٨، ص٣٨٩.

[١٨] ابن أبي أسامة، الحارث، والهيثمي، الحافظ نور الدين. **مسند الحارث– زوائد الهيثمي**، تحقيق: حسين الباكري، المدينة المنورة: دار إحياء السنة، ط١، ١٩٩٢م، ص٥٥٣.

[١٩] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م، ج٤، ص١٩٤.

[٢٠] المناوي، محمد بن عبد الرؤوف. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، مصر: دار الكتب التنجارية، ط١، ١٣٩٦هـ، ج٥، ص٣٤٤.

ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن... وقوله (لم تخن أنثى زوجها) فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها: أنها قبلت ما زيّن لها إبليس حتى زيّنته لآدم... وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسّنت ذلك لآدم عدّ ذلك خيانة له."[21]

وقريب منه ما ذهب إليه العيني شارح صحيح البخاري أيضاً؛ إذ قال: "قوله (لم يخنز اللحم)... أي لم ينتن،... وعن قتادة كان المن والسلوى يسقط على بني إسرائيل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كسقوط الثلج، فيؤخذ منه بقدر ما يغني ذلك اليوم إلاَّ يوم الجمعة فإنهم يأخذون له وللسبت، فإن تعدوا إلى أكثر من ذلك فسد ما ادخروا، فكان ادخارهم فساداً للأطعمة عليهم وعلى غيرهم، وقال بعضهم: لما نزلت المائدة عليهم أمروا أن لا يدخروا فادخروا، وقيل: يحتمل أن يكون من اعتدائهم في السبت، وقيل: كان سببه أنهم أمروا بترك ادخار السلوى فادخروه حتى أنتن فاستمر نتن اللحوم من ذلك الوقت، أو لما صار الماء في أفواههم دماً وانتنوا بذلك، سرى ذلك النتن إلى اللحم وغيره عقوبة لهم. وفي الحلية لأبي نعيم عن وهب ابن منبه قال: وجدت في بعض الكتب عن الله تعالى لولا أني كتبت الفناء على الميت لحبسه أهله في بيوتهم، ولولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنته الأغنياء عن الفقراء، قوله (ولولا حواء عليها الصلاة والسلام)... أنها دعت آدم إلى الأكل من تلك الشجرة."[22]

أما النووي شارح صحيح مسلم فقال: "قوله ﷺ: "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" أي: لم تخنه أبداً... لما جرى لها في قصة الشجرة مع إبليس، فزيّن لها أكل الشجرة، فأغواها، فأخبرت آدم بالشجرة فأكل منها، قوله ﷺ: "لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم"... ومصدره الخنز والخنوز، وهو إذا تغير وأنتن، قال العلماء: معناه أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى نهوا عن ادخارهما، فادخروا، ففسد وأنتن واستمر من ذلك الوقت والله أعلم."[23]

---

[21] ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج٦، ص٣٦٧.

[22] العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١٥، ص٢١١.

[23] النووي، يحيى بن شرف. **شرح صحيح مسلم**، بيروت: دار إحياء التراث، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١٠، ص٥٩.

وأي كتاب آخر تناول هذا الحديث بالشرح سلك المسلك ذاته، وهو القبول مع التأويل.

٢. موقف من ردّوا الحديث واتجاهاتهم:

أ. الاتجاه العقلي الحداثي العلماني:

معظم من طعن في هذا الحديث انصبَّ طعنه على المتن، وتعددت عبارات هؤلاء الطاعنين مع بقاء المضمون متشابهاً. وهو إنكار المتن غالباً عقلاً، وأنه من الإسرائيليات لا من كلام النبوة، وأنه مما دخل علينا من الكتب المقدسة. يقول ابن قرناس: "اللحم يخنز ويفسد بسبب البكتيريا وليس بسبب بني إسرائيل، وهذا يعرفه تلاميذ المرحلة الابتدائية، وإن كان هناك رجال دين لا يعرفون ذلك، فهم من يحتاج للتعلم، لا أن يطلبوا من الناس أن يشاركوهم جهلهم. أما أن يكون سبب الزنى هو حواء، فهو اعتقاد يهودي، مما يظهر بوضوح أن مختلق الحديث إما يهودي، أو أنه متأثر بتراث كتب اليهود."[٢٤]

ومن أمثال ابن فرناس الحداثي زكريا أوزون، الذي تناول هذا المتن في كتابه "جناية الإمام البخاري" فقال: "من الناحية العلمية والعملية يخنز اللحم (أي ينتن)، وكذلك فالمرأة تخون زوجها كحقيقة علمية وموضوعية –حسب أبي هريرة– فكما أن اللحم ينتن، فإن المرأة تخون؛ ومن هي الخائنة للزوج تحديداً؟! من هي خائنة بيت الزوجية؟! أليست الزانية! فما رأيك سيدتي المرأة، وما هو مبرر صلاتك وصيامك وحجابك مادمت خائنة لزوجك دوماً."[٢٥]

ومنهم أيضا سامر إسلامبولي؛ إذ يقول: "فهذا الحديث يثبت أن الخيانة في النساء هي شيء طبيعي، وذلك موروث غريزي من خلال الأم الأولى حواء. والمفروض حسب الحديث أن لا تلام أية أنثى على فعل الخيانة، لأن ذلك هو من طبعها الذي جبلت

[٢٤] ابن قرناس. الحديث والقرآن، الرياض: دار الجمل، ص٣٣٣.

[٢٥] أوزون، **جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين**، مرجع سابق، ص١٢٠.

عليه! والسؤال المطروح ما هي خيانة حواء؟ والجواب التقليدي هو أنها زيّنت لآدم وشجعته على الأكل من الشجرة التي نهى الله عن الأكل منها. فعلى افتراض صحة القصة أين فعل الخيانة في الموضوع؟ إذا تمّ الأكل من الشجرة لكليهما. وآدم عندما استجاب لها فذلك لهوى في نفسه، وقد انقاد للفعل بإرادته دون إجبار أو إكراه، فهو المسؤول الأول والأخير ولا علاقة لها بذلك أبداً."[٢٦]

ومنهم صالح أبو بكر في كتابه الأضواء القرآنية؛ إذ يقول: "وبراهين الكذب على رسول الله في هذا الحديث تتبين في الآتي:

أولاً: إن حواء لم تكن خائنة لزوجها في يوم من الأيام، وإنما هي شريكة له في الطاعة الدائمة، وفي المعصية الوحيدة التي اقترفاها في الجنة. ولم تكن مسيطرة على آدم فحرضته على الأكل من الشجرة كما يقال، وإنما يعتبر آدم مسؤولاً قبلها وصاحب المسؤولية الأولى لقوله تعالى:(فعصى آدم ربه فغوى) ولم يقل فعصت حواء ربها فغوت. وإن كان هذا لا يعفيها لأنها شريكة فقط وليست خائنة كما يقول هذا الحديث، الذي لا يمكن أن يصدر عن النبي ﷺ بحال من الأحوال. وإنما كان آدم من اللحظة الأولى هو القوّام عليها كما هي سنة الله.

ثانياً: إن خيانة الزوجات لأزواجهن لم تكن من نوعٍ فعلته حواء مع آدم طوال حياتها. وإنما تكون الخيانة الزوجية في العقيدة أو العِرْض أو المال. وأهمها خيانة العقيدة كما وصف الله امرأة نوح وامرأة لوط في سورة التحريم. ورسول الله أعلم الناس بتلك الحقيقة عن حواء أم المؤمنين والمؤمنات من الآدميين.

ثالثاً: عجيب أن ينسب إلى النبي ﷺ أنه وصف حواء بصفة الخائنة الأولى، الرائدة في خيانتها لكل الخائنات، وكأنما أعطاها صفة أحط وأدنى من صفة امرأة نوح وامرأة لوط، بل كأنه حمّلها وزر القيادة والأسوة السيئة لهاتين الخائنتين، وكل الخائنات من النساء، مع أن الله -تبارك وتعالى- لم يذكرها في كتابه مع الخائنات؛ لأنها لم ترتكب خيانة تذكر، ولهذا الاعتبار، فإن للعقلاء الحق أن يسألوا، ومن أين جاءته ﷺ تلك

[٢٦] إسلامبولي، سامر. **تحرير العقل من النقل**، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢١٨-٢١٩.

الحقيقة ما دامت لم تأته في القرآن الكريم؟ والحق أنها لم تأته ولم يقلها لأنه صاحب أعف لسان، وإنما هي الإسرائيليات أعداؤه وأعداء دينه، وعلينا أن نرفضها."[٢٧]

وعلى طريقهم يقول نيازي عز الدين: "وإذا سألنا من أين أتى مصدر العلم لمحمد رسول الله ﷺ ليقول هذا الكلام، علماً أن علم الرسول يبدأ وينتهي بما نزل عليه من الله وحياً بواسطة جبريل عليه السلام... ولكن ماذا تريد أن يقول لك جنود السلطان الذين قرؤوا التوراة، فوضعوا الأحاديث كذباً وظلماً على الله وعلى كل المسلمين بأن الرسول قد قال هذا الكلام؟ هل تريد بعد أن قبضوا الثمن من السلطان أن يعودوا ليعترفوا لنا عن مصدر علمهم؟" ثم ذكر نصوصاً توراتية وقال: "هذه القصص التوراتية وأمثالها كانت مصادر جنود السلطان للوحي الثاني الذي نسبوه ظلما لله ورسوله."[٢٨]

ومن العلمانيين من أفرد لهذا الحديث بالذات دراسة مفصلة مثل عبد الحكيم الفيتوري؛[٢٩] إذ كتب في موقع "مؤسسة الحوار المتمدن"[٣٠] على (الإنترنت) أربعة مقالات بعنوان "الأنثى والخيانة"،[٣١] جمع فيها انتقادات الآخرين، ونقد الشّراح والمفسرين محاولاً إضفاء صبغة علمية على نقده.

انتقد عبد الحكيم في المقالة الأولى[٣٢] شرّاح الحديث فيما يتعلق بالشطر الأول من الحديث؛ إذ يقول: "لا يخفى أن حديث أبو هريرة لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها، من الأحاديث المتفق عليها، قد تناوله جمع من شّراح السنن بالشرح والتأويل بطريقة تقديسية تمجيدية، ركزوا فيها على شرح مفردات الحديث، وذكر ما يستفاد من هذا الحديث من لطائف وإرشادات بنمطية كلاسيكية ذكورية. فمثلا هذا

---

[٢٧] أبو بكر، صالح. **الأضواء القرآنية في اكتساح الاحاديث الاسرائيلية و تطهير البخارى منها**،(نسخة pdf)، الدار السلفية للنشر والتوزيع، ١٩٧٣م، ص٣٣١-٣٣٣.

[٢٨] نيازي، عز الدين. **دين السلطان "البرهان"**، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م، ص٨٣٥-٨٣٧.

[٢٩] عبد الحكيم الفيتوري، ليبي مقيم ببريطانيا، دكتوراه في الفكر الإسلامي، باحث ومدير مركز مقاصد للدراسات الإنسانية بمانشستر.

[٣٠] وهي مؤسسة تعرّف نفسها على الموقع أنها يسارية علمانية ديمقراطية.

[٣١] http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=166475

[٣٢] الحوار المتمدن، العدد ٢٥٩٢، ٢١/٣/٢٠٠٩م:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=166475

الحافظ ابن حجر شارح صحيح البخاري في كتابه فتح الباري، قال في شرحه لهذا الحديث: قوله لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم –يخنز بفتح أوله وسكون الخاء وكسر النون وبفتحها أيضاً بعدها زاي– أي ينتن. والخنز التغير والنتن، قيل أصله أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك، فعوقبوا بذلك، حكاه القرطبي وذكره غيره عن قتادة، وقال بعضهم معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن، وروى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال في بعض الكتب لولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنه الأغنياء عن الفقراء. انتهى شرح ابن حجر للشطر الأول من الحديث، ويبدو أن ابن حجر لم يكن معنياً بما ينقله عن القرطبي أو قتادة أو وهب بن منبه من كلام يناقض سنن الكون وناموس الحياة، ويخالف منطق الوحي ومنطق العقل."

ويقول في تعليقه على ابن حجر في شرحه للشطر الثاني للحديث: "ثم انتقل ابن حجر لشرح الشطر الثاني من الحديث بقوله: قوله ولولا حواء أي امرأة آدم وهي بالمد، قيل سميت بذلك لأنها أم كل حي، وسيأتي صفة خلقها في الحديث الذي بعده، وقوله: لم تخن أنثى زوجها؛ فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم. ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم، عدّ ذلك خيانة له. وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها، وقريب من هذا حديث جحد آدم فجحدت ذريته، وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن، فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع، بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن والله المستعان. (فتح الباري) ولعل اللطيفة المستفادة من هذا الحديث كما قال ابن حجر هي تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم، وأن ذلك من طبعهن، ويبدو ابن حجر في تقريره لهذه المسلمة ينطلق من أرضية

تلك الروايات الذكورية المخالفة للقرآن وقصديته، والمناقضة لمنطق العقل والواقع؛ كرواية المرأة خلقت من ضلع أعوج، ورواية النساء ناقصات عقل ودين وهلم جرا."

ثم انتقد الكاتب النووي في شرحه الحديث عند مسلم، فيقول: "ولم يبعد شارح صحيح مسلم الإمام النووي عن شرح ابن حجر من حيث التفكير والمسار والمنطق الذكوري، المحكوم بإكراهات المجتمع العربي وبيئات قضايا الشرف والعار... واللافت للنظر أن النووي يذهب إلى أن فسد اللحم [لا زال] مستمراً حتى لحظته؛ إذ نقل عن علمائه نقلاً بعقلٍ تمجيدٍ لا يفرق بين الواقع والخيال، ولا بين العلم والتخيلات، فقال: قال العلماء معناه أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى نهوا عن ادخارهما فادخروا ففسد وأنتن واستمر من ذلك الوقت والله أعلم، وأحسب أن هذا الزعم يبدده الواقع جملة، ولعل النووي في ذلك قد تخيل اللحوم في زمانه بأنها فاسدة، وذلك من باب إقناع العقل بمنطق هذه الرواية المخالفة للوحي والعقل والواقع!!"

وبعد ذلك ينتقل في المقالة الثانية لانتقاد المفسرين؛ إذ يقول في مقدمة المقالة: "ينبغي التنبيه هنا بأننا لا نريد الوقوف عند الشطر الأول من الحديث (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم)؛ إذ تكفي الإشارة السالفة لهذا الشطر من أن فساد اللحم وعفانته لا علاقة له بدين ولا بجهة ولا بلون، وإنما تخضع لعوامل قررها العلم الحديث من بكتيريا وفيروسات وغير ذلك مما هو مقرر عند علماء العلوم الحديثة، ولعل شطر هذه الرواية منتج من منتجات العنصرية الدينية والملّية؛ لأن رائحة التدافع الملّي بين المسلمين وغيرهم خاصة اليهود واضحة وجلية فيه، والذي يهمنا في هذا المقام الوقوف عند الشطر الثاني من الرواية (لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر) بغية معرفة حجم اعتداءات المفسر على النظم القرآني لصالح هذه الرواية، وما أفرزه من ثقافة ذكورية تحتقر الأنثى وتزدريها بمنطق الدين والإيمان، لدرجة اقتناع الأنثى ذاتها بتلك الثقافة الذكورية (العنصرية الذكورية) المخالفة لمنطق الوحي وقصديته، فنأخذ لذلك عينة تفسيرية تثبت مدى الترابط بين ما قاله المفسر في القديم، وما نقله عن المفسر الحديث عنه، على الرغم من تغير السياق

التاريخي والمساق الثقافي والاجتماعي، وذلك من خلال تفسير ابن جرير الطبري وتفسير فتح القدير للشوكاني عفى الله عنهما."[٣٣]

ثم ينقل بعبارات فيها الكثير من الازدراء كلام الطبري في تفسير آيات سورة البقرة المتعلقة بآدم وحواء؛ إذ يبدأ كل فقرة بعبارات مثل: القصة الدرامية لدخول إبليس الجنة، إبليس يخطط لاختراق الجنة، مشهد خيالي درامي حواري بين إبليس والملائكة، قصة اختفاء آدم من ربه، إبليس يتابع قراءة كتب الملائكة في صورة درامية، مشهد إغواء آدم في ثوب سهرة أنسية، العقوبة السرمدية لحواء وبناتها بنقصان العقل والدين، إشراك الحية في عقوبة حواء.

ثم ينتقل إلى الشوكاني في فتح القدير فيقول: "لخص الشوكاني ما قاله ابن جرير الطبري بزيادة بعض الأسانيد والمتون الأسطورية، فقال في تفسيره فتح القدير: وقد أخرج قصة الحية، ودخول إبليس معها، عبد الرزاق، وابن جرير، عن ابن عباس، وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر من طرق، عن ابن عباس قال: الشجرة التي نهى الله عنها آدم السنبلة وفي لفظ: البرّ. وأخرج ابن منيع، وابن المنذر، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس قال: قال الله لآدم: ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: يا ربّ زينته لي حوّاء، قال: فإني عاقبتها بألا تحمل إلا كرهاً، ولا تضع إلا كرهاً، وأدميتها في كل شهر مرتين. وربط الشوكاني تلك القصص بحديث الباب بطريقة تمجيدية، حيث قال وأخرج البخاري، والحاكم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها. وقد ثبتت أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة في الصحيحين، وغيرهما في محاجة آدم، وموسى، وحجّ آدم موسى بقوله: أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن أخلق؟ (انظر: فتح القدير للشوكاني تفسير آيات البقرة). واللافت للنظر أن الشوكاني ومن صار على نهجه في نقل تلك الأسانيد والمتون المخالفة لمنطق العقل والوحي يؤسسون بذلك فكرة تحويل العقل من أداة فهم إلى مستودع حفظ، ومن آلة

[٣٣] الحوار المتمدن، العدد ٢٥٩٨، ٢٧/٣/٢٠٠٩م:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=167082

استكشاف إلى آلة استذكار، كذلك ينشرون ثقافة العنصرية الذكورية باسم الدين التي تمارس عمليات الاضطهاد والازدراء للأنثى على كافة مراتبها."

وفي المقالة الثالثة يذكر نصوصاً من الكتب المقدسة يبين من خلالها أنها مصدر هذا الحديث تحت عنوان: "خيانة حواء في العهد القديم".[٣٤]

وفي المقالة الرابعة[٣٥] يحاكم مفردات الحديث، مستشهداً بإحصائيات تقول إن الواقع يكشف عن أن نسبة الخيانة عند الرجال تفوق نسبتها عند الإناث، والعقل الكلاسيكي -كما أطلق عليه- يعاني من أزمة تعامله مع مفردة "الخيانة"، ثم يدلل على عقلانية الجيل الأول في فهم النص؛ إذ يقول -بعد ذكره بعض استدراكات السيدة عائشة على الصحابة-: "يبدو أن ميزان السيدة عائشة في قبول الرواية جد محكم، فما خالف قصدية القرآن ومنطق العقل رفضته وإن كان القائل به جمهور الناس، فالعبرة عندها ليست كثرة الرواة وعدوليتهم، ولكن بقبول القرآن والعقل لما يرويه الرواي، ولو كان راوياً واحداً، وبذات الميزان والمنهج (العائشي) يمكننا وزن حديث أبي هريرة: لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها. والقول فيه بأنه حديث لا يستقيم ومنطق الوحي والعقل، بل مخالفته ظاهرة وصريحة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (فاطر: ١٨) ويقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) فإذا كان ذلك كذلك فكيف تحمل حواء معصية آدم ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١)، وكيف تعاقب بنات حواء بالحيض والنفاس، والكره في الحمل والوضع، وكيف تصبغ الأنثى بصبغة الخيانة الدهر كله، والله يقول: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت: ٤٦)، ومن عدله سبحانه ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ (النجم: ٣٨-٤١)، ومن قانونه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)،

---

[٣٤] الحوار المتمدن، العدد ٢٦٠٥، ٣/٤/٢٠٠٩م:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=167797

[٣٥] الحوار المتمدن، العدد ٢٦١٢، ١٠/٤/٢٠٠٩م:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=168423

ومن رحمته سبحانه قال: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ (آل عمران: ١٩٥)."

ويقول جورج فرح تحت عنوان "المرأة مصدر الشرور":[٣٦] "لم يكتفِ الذكَر بالحطِّ من قيمة الأنثى، بل نَسَبَ إليها شروراً ما أنزل الله بها من سلطان! ففي قصة الخلق التوراتية حُمِّلت حواء المسؤولية الكاملة عن الخطيئة وشرور العالم. الحية أغوت حواء بتناول التفاحة، ولكن الحية حيوان لا يمكن أن نحمِّله مسؤولية ما، إذن حواء -ذلك المخلوق الإنساني الشرير!- هي التي أغوت آدم وأدَّت به إلى السقوط في الخطيئة وإلى الحرمان من الجنة."

ب. الاتجاه الشرعي النقدي:

ما يميز هذه الفئة عن غيرها من الفئات التي ردّت الحديث هو سلامة القصد، فإن كانت الفئات الأخرى المذكورة سابقاً أو التي سأذكرها لاحقاً، لا يخلو طعنها في الحديث من انسياق وراء رغبات دفينة، وأهواء مكبوتة، فإنني أعتقد أن هذه الفئة يتأكد فيها سلامة القصد وطيب النية، ولذلك كان طعنهم في هذا الحديث من باب إعلاء مكانة الرسول ﷺ ودفع ما لم يستطع العقل أن يجد له مخرجاً من أقواله ﷺ.

ومن أوائل من وقفت على كلامه من علماء الأمة الإمام محمد الغزالي في كتابه: "السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث"؛ إذ ردّ على خطيب مسجد قال إن النساء منذ حواء إلى اليوم يستحققن الحذر والتأديب، وقد جاء في الحديث: "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر" فقال له الغزالي:" ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة، هذا من أكاذيب التوراة! والقرآن صريح وحاكم في أن آدم هو الذي عصى ربه! ولكنكم دون مستوى القرآن الكريم، وتنقلون من المرويات ما يقف عقبة أمام سير الدعوة الإسلامية!"[٣٧]

---

[٣٦] موقع معابر/ الذكورة في تراثنا/ جورج فرح:
http://www.maaber.org/eighth_issue/malehood_in_our_tradition.htm

[٣٧] الغزالي، محمد. **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، القاهرة: دار الشروق، ط١٢، ٢٠٠١م، ص٢٠٢-٢٠٣.

وتابعه العلامة يوسف القرضاوي في لقاء تلفزيوني على قناة الجزيرة عندما سئل عن هذا الحديث قال: "الحديث هو يقول "لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم" يعني: لم ينتن ولم يتغير؛ أي إنهم ادخروا بعض اللحم والسلوى والأشياء التي هكذا شأنها من الفساد. فكان أن ابتلاهم الله تعالى بإنتان اللحم، وهو قانون طبيعي في الأشياء، وسنة من سنن الله في تغيّره حتى قبل أن يوجد بنو إسرائيل.

وقوله: "ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها" لا يعني أن حواء خانت زوجها، فهذا ليس له دليل من القرآن أبداً. فالقرآن يقول إما أنهما أكلا معاً كما قال تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ (طه: ١٢١) أو أن آدم هو الأساس؛ إذ ورد في سورة طه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (طه: ١١٥) فالكلام متعلق بآدم عليه السلام، ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ (طه: ١١٧)، ثم إن الشيطان هو الذي أغواه قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (طه: ١٢٠)، حتى قال: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (طه: ١٢١-١٢٢)، فلم ينسب الأمر إليهما معاً، بل في أحيان نسب إلى آدم، مما يدل على أنه هو الأصل والمرأة هي من تبعته. إن هذه الفكرة هي فكرة توراتية إسرائيلية، ولذلك فشيخنا الشيخ الغزالي توقف وأنا معه في هذا. ولا يعني توقفه أنه أنكر هذا الحديث، بل نزع إلى تطبيق مقاييس العلماء في صحة الحديث، لأن العلماء قالوا لكي يكون الحديث صحيحاً يجب أن يكون متصلاً بالسند. ورواية العدل التام الضبط من مبدأ السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة؛ أي يجب أن لا يكون هناك علة لا في السند ولا في المتن، وأنا أرى أن هذا الحديث فيه علة، وهي أن نصفه الأول مخالف لقوانين الطبيعة التي حكم الله بها هذا الكون، والثاني مخالف للقرآن، فلذلك من حقنا أن نتوقف في قبوله."[٣٨]

---

[٣٨] برنامج الشريعة والحياة/ النساء في القرآن/ الموافق ١٨/٦/٢٠٠٨م:
http://www.aljazeera.net/channel/archive/archive?ArchiveId=1098789

ومن المعاصرين أيضاً الدكتور محمد سعيد حوى في مقالة له في جريدة الرأي الأردنية، تناول هذا الحديث بالذات نموذجاً للأحاديث الواردة في الصحيحين، التي تعارض القرآن؛ إذ يقول: "ومن هذه النماذج التي تؤكد ضرورة التحري والبحث في بعض أحاديث الصحيحين لمعارضتها لظاهر كتاب الله حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ "لولا بنو إسرائيل لم يَخْنَزَ اللحم (أو قال الطعام) ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر."[٣٩]

وبعد أن أثبت صحة السند توجه للمتن فقال: "أما متناً: فالحديث يصادم ويخالف حقائق القرآن من وجوه:

١. قضية خيانة حواء: إن التوراة المحرفة هي التي تقرر أن سبب وقوع آدم في المعصية، حواء. ولقد جاء النص هنا موافقاً للتوراة مع ما يتضمن النص المنسوب لرسول الله من: أ. تحميل حواء المسؤولية. ب. إنها هي سبب الغواية. ت. توريث الخطيئة لذريتها. وكل هذا مخالف للقرآن وموافق للتوراة؛ فالقرآن نجده إما يحمّل آدم المسؤولية ابتداء، أو يحملهما معاً، ونجد القرآن يبين أن سبب الغواية هو إبليس، وأن الوسوسة توجهت إلى آدم وزوجه سواء بسواء، كما يبين القرآن أن التوبة حدثت وتمت وانتهى الأمر. قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١)، وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ (طه: ١١٧)، وقال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ (البقرة: ٣٦)، وقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ (الأعراف: ٢٠)، وقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧) وقال: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه: ١٢٢)، وقال: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١)، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨)، وقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (فاطر: ١٨) إضافة إلى الآيات الكثيرة التي تتحدث عن مكانة المرأة وسمو العلاقة الزوجية.

وبعد: فإن كل حقائق القرآن تأبى أن تحمل حواء مسؤولية الغواية أو الخيانة، أو إنها هي سبب الغواية، أو أن ذلك موّرث لبناتها. ولنا أن نتساءل: لماذا لم يورث آدم الخيانة إلى أبنائه الذكور؟ ولماذا الإناث دون الذكور؟ تلك فكرة التوراة. ففي الإصحاح الثالث

---

[٣٩] الصحيفة الإلكترونية، منبر الرأي، جريدة الرأي الأردنية، http://archive.alrai.com، الثلاثاء ٠٨ حزيران ٢٠١٠، ١٢:٥٠.

(١-٧) من سفر التكوين: "وكانت الحية أحيَلَ جميع حيوانات البرية. فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة... فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل... فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رَجُلَها... فقال آدم للرب: المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت... ثم ذكر أن اسمها حواء." قد يقول قائل وما المانع أن يوافق الحديث التوراة؟ أقول: عندما يكون الكلام باطلاً شرعاً وعقلاً وواقعاً، ومصادماً للقرآن، فلا يجوز أن نسأل هذا السؤال.

٢. قضية فساد اللحم: وهذا مخالف أيضاً لما يعلم علمياً من قانون أجرى الله الكون وفقه، بأن اللحم يفسد إذا تعرض للهواء وغيره من المؤثرات. ويخالف النص القرآني أيضاً. ومما يدل على مخالفة هذا النص للقرآن؛ أن القرآن قصَّ لنا قصة الذي أتى على قرية وهي خاوية على عروشها، ولم يبين القرآن متى ولا من ولا ممن، ولا يعنينا مطلقاً البحث في ذلك، والشاهد أنه قال له: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ (البقرة: ٢٥٩) أي إن الله أقام أمامه جملة من الآيات الخارقة للعادة، منها حفظ طعامه وشرابه، خلاف العادة مع المكث الطويل، ومنها كيف أراه خلق الحمار ونشز العظام، فلو كان القانون الذي كان سائداً، والذي جرت به العادة أن الطعام لا يفسد، لما كان في ذكر هذه الآية هنا أي معنى. وهكذا أستطيع الجزم بلا تردد -واستغفر الله من أي خطأ- أن هذا من النصوص الإسرائيلية التوراتية، وليست من كلام رسول الله ﷺ أبداً. وسيبقى السؤال الكبير ذي الحرج الشديد والحساسية المفرطة عند المحدثين: كيف تردُ حديثاً روي من أربعة طرق على الأقل عن أبي هريرة وبعضها في الصحيحين؟ ومن أين جاء الخلل إلى هذا الحديث الذي ثبت أنه لا يمكن أن يكون حديثا من كلام رسول الله؟ لعلي أستطيع الإجابة عن ذلك فيما بعد."

٣. موقف من استغل الحديث للطعن بالإسلام أو الرسول أو السُّنة:

أ. الطاعنون في السنة والصحابة:

لقد تناولت الشيعة في مواقعهم أيضاً الحديث بنوع من السخرية والاستهزاء حيناً، والطعن والإساءة حيناً آخر. وقد وجدوا فيه غنيمة كبيرة لاصطياد عدو لهم لدود، هو الصحابي أبي هريرة. والقارئ لكتبهم يرى بوضوح اتهامهم لأبي هريرة بالكذب.

ففي موقع شمس كربلاء يذكر الحديث تحت عنوان "البخاري ومسلم يتفقان على خيانة حواء (عليها السلام) والراوي أبو هريرة." ثم يعقّب من أطلق على نفسه ابن الزهراء فيقول: "فليتفضل أحد عقلاء السنة وليوضح كيف أن حواء أم البشر (خائنة)، وذلك لأن لفظ الخيانة إنما يؤخذ عند الإناث في العرف اللغوي السائد خيانة شرفية (نعوذ بالله)... ولا يصح تحويل المعنى إلى الخيانة المعنوية... لعدم وجود حتى مثل هذه الخيانة في أحاديثكم فلا يقام لها وزن."[٤٠]

وفي موقع رسول الله وأهل البيت تحت عنوان "صحيح مسلم يتهم زوجة النبي وكل زوجة بالخيانة" يقول: "ولكن بما أنك أدرجت حديث بني إسرائيل معه، وكأن بني إسرائيل شر، فهذا يعني لولا هؤلاء الأشرار بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا الشريرة حواء -والعياذ بالله- لم تخن أنثى زوجها. فما شاء الله على هذا التفسير الذي جعل حواء سبب خيانة كل خائنة متزوجة، فتكون بذلك لا فرق بينها وبين إبليس؛ يعني سبب الخيانة المنسوبة لحواء هي لأنها أنجبت كل هذه النساء، وهذا يعني أنه -والعياذ بالله- يستطيع أن يقول أي شخص على تفسيرك هذا، بأنه لولا الله لما عصاه بشر، فإن سألناه ماذا يعني تفسيرك، فسيقول يعني لو لم يخلق الله البشر لما عصوه، وعلى كل الأحوال هي مصيبة مردودة عليكم، لأنه تستطيع أي امرأة خانت زوجها بأن تجيب يوم القيامة بأنه يا رب لا تلمني لأنه لولا حواء لما قمنا بالخيانة، ولولا لم تخلق بشر لما عصاك أحد. وهنا النكتة الجميلة هي أنه ليست كل متزوجة خائنة، ولكن كل متزوجة خائنة سببها حواء حسب زعمكم، فلماذا نسبتم الخيانة للخائنات بحواء، ولم تنسبوا طهارة الطاهرات بحواء؟! أو ليس هؤلاء أيضاً أمهم حواء أيضاً؟! فلماذا نسبتم الخيانة الزوجية بحواء ولم تنسبوا الطهارة الزوجية بها؟"[٤١]

---

[٤٠] موقع شمس كربلاء/المنبر العقائدي:
http://www.shmskrbla.com/vb/showthread.php?t=18832

[٤١] شبكة ومنتديات فداك رسول الله وأهل البيت عليهم السلام "المنتديات الحوارية والعقائدية" المنتدى الحواري والعقائدي:

وفي موقع شبكة أنصار الحسين -عليه السلام- يذكر الحديث تحت عنوان "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها المصدر البخاري ومسلم!" ثم يقول: "أكانت أمنا حواء خائنة؟! أهي المتسببة في جميع الخيانات الناجمة من كل زوجة لزوجها؟ ألا يدعو هذا الحديث المزعوم إلى كراهية أمنا حواء على نبينا وآله وعليها الصلاة والسلام؟! أيتناسب هذا مع الدعوة ببر الوالدين؟!"[٤٢]

ب. الطاعنون في الرسول والرسالة:

لم أكن أتوقع أن يُهاجم هذا الحديث من النصارى؛ لأن الكتاب المقدس عندهم الذي يضم العهد القديم والعهد الجديد، يثبت في كلا العهدين أن حواء هي أصل الخطيئة، وتحمّل حواء مسؤولية معصية آدم وخروجه من الجنة؛ ففي سفر التكوين ورد الآتي: "... وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة: أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقد قال الإله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا...فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رَجُلَها معها فأكل."[٤٣]

ويقول بولس: "وآدم لم يغو، لكن المرأة أغوت فحصلت في التعدي، لذلك لم يأذن لها الرسول أن تعلم، ولا أن تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت لأن آدم جُبِل أولاً ثم حواء."[٤٤] وجاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: "ولكني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في السيد المسيح."[٤٥]

ومع ما ذكرت نجدهم في مواقعهم يتناولون هذا الحديث بالطعن. وقبل أن أبدأ بنقل أقوالهم أقول: لقد اتفقت كلمة العلماء أن ناقل الكفر ليس بكافر، وأنا أبرأ إلى الله مما

---

http://www.r-ahlulbait.com/a/showthread.php?t=1742

[42] http://www.ansarh.com/forum/showthread.php

[٤٣] سفر التكوين١: ٣-٢٤.

[٤٤] رسالة بولس إلى ثيماتاوس، الإصحاح الثاني، عدد١٤، ص٣٣.

[٤٥] الإصحاح الحادي عشر، آية ٢-٣-٤، ص٣٠٠.

يقولون، لكن للأمانة وللوقوف على كل من انتقد الحديث أراني مكرهة على نقل كلامهم.

ففي موقع (الأقباط) منتدى منظمة أقباط الولايات المتحدة تحت سلسلة (من هو الكذاب) وبعنوان "لولا اليهود لما وجدت البكتيريا، ولولا حواء لما خانت النساء" "سلام المسيح رب المجد. أمامنا حلقة جديدة من سلسلة: من هو الكذاب! والتي نستعرض فيها أحاديث صحيحة جداً واردة في صحيحي البخاري ومسلم، وهما أعلى كتب الصحاح بالدقة والصحة بعد قرآنهم، في حين أنها تتعارض مع العقل أو المنطق أو التاريخ... وبذلك يضربون بأيديهم أحد مصادر دينهم الموحى بها أي: السنة، وكذلك يهدمون أسس ما يعرف عندهم بـ"علم الجرح والتعديل" ويشككون بأسانيد الأحاديث الصحيحة ورواتها العدول والثقات... مما يدخل الظن والريبة فيهم جميعاً... مما يجعلنا نطرح هذا السؤال الخطير: من هو الكذاب في الحديث؟ هل أحد الرواة العدول الثقات... أو الصحابي أو محمد نفسه؟

واليوم نعرض لمسألة جديدة طرحها محمد في حديثه الصحيح الذي أورده البخاري في صحيحه، وكذلك مسلم! وها هو الحديث (ويذكر حديث البحث) ونقول للبيان: الحديث يحمل اليهود حقيقة فساد اللحم... وأنه لولا أن بني إسرائيل قد خزنوه لما فسد اللحم وتحلل! ويحمل حواء كل خيانات قامت وتقوم بها كل زوجة.!... وهكذا نجد بأن كل مصائب الدنيا تنزل إما على رأس اليهود أو على المرأة. اليهود! والنساء! فهما أساس البلاء عند المسلمين ومصدر كل بلوى ومشكلة! هذا الحديث أوضح نموذج لما يسمى بـ"نظرية المؤامرة"! أو مخططات بني صهيون. كما أن كل مصيبة يلقونها على المرأة!

أولا: مسألة فساد اللحم.. بسبب اليهود! تخريف نبوي! حتى فساد اللحم... ألقى (صلعم) سببه على رأس اليهود!! وكأن اليهود -بمؤامراتهم الخبيثة- هم من اخترعوا "البكتريا" التي تحلل وتفسد اللحوم! أو ربما استنسخوها! وهذا يعد هراء علمي بكل المقاييس... فالبكتيريا موجودة قبل الإنسان... وما تسببه موجود حتى قبل وجود الحيوانات، فالبكتريا هي أقدم الكائنات الحية على سطح كوكب الأرض! فاللحم كان يفسد بالطبع قبل أن يوجد في الدنيا بنو إسرائيل وقبل إبراهيم... فما يقوله محمد مجرد

تشويش اختلط في ذهنه من جراء ما كان يسمعه متناثراً مغلوطاً من التوراة المقدسة دون تأكد ولا فحص! وأسأل: من الذي أخبر محمد بهذه المعلومة "العلمية " جداً!؟ هل أخبره بها ربه بالوحي؟ إن كان هذا قد حدث، فهذا يثبت بأن رب محمد لا يدرك أبسط القواعد الطبيعية عن عمل الجسيمات والإنزيمات المؤثرة في الخلية... وتحلل اللحوم! وبهذا تسقط ربوبيته...مع نبوة رسوله "الأمي" المرسل إلى الأعراب الأشد كفراً ونفاقاً... وجهلاً... وهم أمة لا تكتب ولا تحسب... كما اعترف محمد مفاخراً... فهل اليهود من أوجدوا البكتريا؟!

ثانياً: لولا خيانة حواء.. لكانت كل النساء شريفات! وهذا يشين جنس النساء... لأنه ينسب خيانات النساء إلى فعلة "حواء"! ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر! يعني لو لم تكن حواء وخيانتها... ما كانت أي زوجة ستخون زوجها! لم تخن أنثى زوجها الدهر! أي أبداً!... يعني ما كانت ستوجد الخيانة لولا حواء... أليس هذا توارث لنتائج خيانة حواء؟! ولصدمة المسلمين بهذا الكلام المحمدي الصحيح.. راحوا يتشقلبون على معناه ويحاولون تطريته وتنعيمه وتشذيبه وتهذيبه بأقصى ما تطاله أياديهم...(وتحت عنوان الحديث في أعلى درجات الصحة!) يقول: أما إن اعترض أحد المتفذلكين منهم حول صحة الحديث...فنحيله إلى كبار علماء الحديث الذين صححوه، وحكموا بصحته (وذكر تصحيح الألباني للحديث، ثم ذكر كلام القرضاوي عن الحديث والذي سأذكره بعد قليل) ثم يقول: إن كان الحديث كاذب مكذوب: فمن هو الكذاب هنا؟ من الذي كذب في هذا الحديث الصحيح؟ هل كذب محمد؟! أم كذب البخاري؟ أم كذب أبو هريرة؟! ومن سيتبوأ مقعده من النار؟! تعالوا إلى الخلاص يا مسلمين.. تعالوا إلى النور."[٤٦]

رابعاً: المناقشة والترجيح

الطعن في سند هذا الحديث لم يكن بصورة مباشرة برواة السند، فالحديث مروي من طريق معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة الذي قيل فيه أنه أصح أسانيد اليمانيين،[٤٧]

[٤٦] منتدي منظمة أقباط الولايات المتحدة "المنتدى العربي" منتدى حوارات الاديان:
http://www.copts.net/forum/showthread.php?t=32374

[٤٧] الحاكم النيسابوري. **معرفة علوم الحديث**، تحقيق: السيد معظم حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٧هـ، ص٥٥.

وهو مروي في البخاري ومسلم؛ أي هو مما اتفق عليه الشيخان، وإنما كان الطعن في الصحابي راوي الحديث. ولأن هذا الطعن لا يستند لأي أساس علمي لن أجعل التركيز عليه في مناقشة الانتقادات، فالانتقاد الموجّه للصحابي الجليل أبي هريرة أنه قد روى هذا الحديث عن أهل الكتاب يحتاج إلى دليل علمي، وطالما أن الحديث يمكن توجيهه وفهمه ضمن الأسس الشرعية لديننا، فلا حاجة بنا للطعن في صحابي جليل يعد أكثر الصحابة رواية للحديث.

أما الطعن في متن الحديث فقد نال نصيب الأسد من المغرضين ومن المنافحين عن الدين، وقد تصدى للرد على الطعون أساتذة فضلاء. ومن أهم ما وقفت عليه من ردود ما ردّ به الدكتور ياسر الشمالي على الدكتور محمد حوّى، وشمل ردّه الآتي:[٤٨]

١. إن هناك كثيراً من نصوص القرآن موافقة للتوراة، فهل يعني ذلك أن نرد نصوص القرآن؟! ثم لماذا لا نستدل بصحة الحديث -الذي لا معارض له كما سيأتي- على صحة ما جاء في التوراة موافقاً له؟ إنما نجزم بأن الشيء في التوراة محرّف إذا جاء في شرعنا ما يصادمه أو يكذبه.

٢. سوء فهم الحديث، وخلل في توجيه كلام الشراح؛ إذ يقول: "يبين ابن حجر الفهم الصحيح للحديث، وهو أن خطأ حواء كان بتحسين الأكل من الشجرة اتباعاً لوسوسة الشيطان كما قال تعالى: فدلاهما بغرور وكما قال: وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فهل من المعقول أن نفهم الأمر أن حواء بعد أن اغترت بإغواء الشيطان ونصيحته قامت بتحسين الأمر لآدم فوقعا في المعصية؟ ولا يوجد في القرآن ما ينفي هذا؛ إذ سكوت القرآن عما فعلته حواء لا ينفيه، والسنة بيّنت الأمر وفصّلته، فما هي المشكلة؟ ولماذا التسرع في ادعاء التعارض؟!"

ثم يرد على الجزء الأول من الحديث فيقول في المقال ذاته: "الحديث يتكلم عن عمل بني إسرائيل في اللحم حيث بخلوا وخافوا رزقهم فادخروه ولم يكن يدخره أحد قبلهم فبسبب ادخارهم أنتن اللحم وهو المعبر عنه بقوله "يخنز"، وليس الكلام في أن اللحم

---

[٤٨] تم النشر على منبر الرأي: http://www.manbaralrai.com

كان قبل بني إسرائيل لا يخنز، -وإن كان بعضهم فهم هذا- فلولا بنو إسرائيل لم يدخر، ولو لم يدخر لم يظهر فساده، والمتأمل في الحديث يجد أنه يشير إلى أن طبيعة اللحم الفساد، لكنها لم تظهر سوى مِنْ تَصرُّف بني إسرائيل عندما ادخروه."

وأوافق الدكتور الشمالي فيما ذهب إليه في الشطر الأول من الحديث، وهو الكلام عن فساد اللحم؛ فالحديث يبين طبيعة من طبائع بني إسرائيل اشتهروا بها في واقع الحال، وهذه الطبيعة لم تنفك عنهم في يوم من الأيام، وهذه الطبيعة هي حبهم للمال وللكنز والادخار، وتفضيلهم فساد ما يكنزون على أن يفيد منه غيرهم، أياً كان هذا الغير، فالحديث لا يبيّن ولا يشير إلى أنّهم سبب وجود البكتيريا التي تفسد اللحم، فهذا فهم مغلوط للنص، وإنما يبيّن طبيعة اختصوا بها عن غيرهم، حتى إنهم يدّخرون ما لا يصح ادخاره كاللحم الذي يفسد، ويبدو -والله أعلم- أنّ ما كان معهوداً في زمنهم أن الناس كانت تذبح، ثم إذا زاد عن حاجتها شيء إما أعطته للآخرين، أو تركته للحيوانات والسباع، ولا يوجد عندهم مبدأ ادّخار اللحوم أصلاً، حتى جاء بنو إسرائيل وادّخروا ما لم يدّخر قبلهم، وما يفسد من الادخار وهو اللحم؛ أي إنهم هم الذين سنّوا سنة سيئة هي ادّخار اللحم وفساده، لعدم إتاحة الفرص لغيرهم للانتفاع به.

ونظرة سريعة لواقع حالنا، وما نعايشه نحن بالذات من تاريخ طويل مع هؤلاء، نجد قناعة تامة بهذا الحديث، وما ذكره من صفات لبني إسرائيل، وأن هذا شأنهم إلى الآن، ففساد ونتن ما لا يحتاجونه مما ينتفع به غيرهم، أحب إليهم من أن ينتفع به غيرهم، والله أعلم.

ولعلي أقول إن الأساس في الرد على هذه الطعون جميعها يكون بالرد على الأساس الذي بنيت عليه، فإذا أثبتنا انهيار الأساس انهارت تلقائياً كل الطعون المبنية عليه.

إنّ أساس هذه الطعون هو النظر إلى الحديث بعين الشّراح والمفسرين؛ إذ بنيت كل الطعون الموجهة لهذا على كلام الشّراح والمفسرين، فكل من طعن في هذا الحديث طعن بناء على أن هذا الحديث قد اتفق على معناه، وأن أقوال الشراح تواترت تقريباً في أن

المراد منه خروج آدم وحواء من الجنة، ومثاله شرح ابن حجر -وهو أفضل من شرح صحيح البخاري- إذ يقول: "لم تخن أنثى زوجها فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك؛ فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق؛ فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش --حاشا وكلا- ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسّنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها."[٤٩]

ولا أدري حقيقة لم أُلصق هذا الحديث بحادثة خروج آدم وحواء من الجنة كما يراها أهل الكتاب؟! حتى غدا مسلّماً به عند من تناول هذا الحديث من علماء المسلمين أن (الإسرائيليات التي شرحت الحديث) أصبحت هي متن الحديث! الأمر الذي صرف الأذهان جميعها عند قراءة الحديث إلى قصة خروج آدم وحواء من الجنة كما وردت عندهم، وأن حواء هي الأصل في هذا الخروج كما تقول الإسرائيليات.

والسؤال المهم هنا: هل للحديث علاقة بالإسرائيليات؟!

الإجابة: نعم، لكن ليس من ناحية المتن الذي قاله الرسول ﷺ، بل من ناحية توجيه الشراح والمفسرين له، فقد كان التوجيه بناء على ما ورد من إسرائيليات تتعلق بخروج آدم وحواء من الجنة، وهو الأمر الذي أشكل في هذا الحديث، وجعل المنافحين عن الدين يرفضون الحديث، كما أعطى المغرضين مادة خصبة للطعن تارة في الحديث، وتارة في الصحابي، وتارة في الرسول الكريم ﷺ.

وأسأل هنا سؤالاً: لماذا ارتضى علماء المسلمين التفسير المستقى من الإسرائيليات للحديث، وهو مخالف لما جاء به القرآن، وابتعدوا عن شرح الحديث بناء على النظرة الإسلامية المتوافقة للقرآن؟! وهل يعقل أن نقبل أن يشرح الحديث الروايات الإسرائيلية،

---

[٤٩] ابن حجر العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج٦، ص٣٦٨.

ونبتعد عن منهجية الإسلام في النظر إلى دور آدم وحواء (أو قل الرجل والمرأة) في إعمار الكون؟!

إن الحديث يعطي ترسيخاً رائعاً لبيان تكامل دور كل من الرجل والمرأة بناء على تأصيل زمني ووظيفي لوجود الرجل والمرأة على سطح الأرض؛ فآدم عليه السلام هو أول رجل رسالي على وجه الكرة الأرضية، وقد جاء إلى الكون لتعميره وإرساء هذه الرسالة فيه، وهذا معنى الخلافة في الأرض، وكذلك الأمر بالنسبة إلى حواء فهي إمرأة صاحبة رسالة تؤديها أيضاً على هذه الأرض، ومطلوب من آدم عليه السلام وحواء صاحبة الرسالة تكوين نواة الأسرة، بل قل الأمة الرسالية، وليس كما تقول الإسرائيليات إنها جاءت لتسلية الرجل ومتعته فقط، بل لها دور رسالي أصَّلته الآيات القرآنية التي تبين أن المسؤولية في حمل هذا الدين وإرساء قواعده هي مسؤولية مشتركة بين المؤمنين والمؤمنات.

وعندما وسوس الشيطان لآدم عليه السلام ابتداء، وهذا نستقيه من قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى، ورغب في الأكل، غوته نفسه بفعل وسوسة الشيطان فأكل، وهذا مخالف لدوره الرسالي الذي يحتم عليه الالتزام بأوامر رب العزة عز وجل ونواهيه، ومجاهدة النفس مقابل أداء سليم ومتفوق لدوره الرسالي، فهو في لحظات غفل عن هذا الدور، واتبع هواه، لكن سرعان ما رجع وتاب، فتاب الله عليه.

إلا أن الأمر قبل التوبة أن الإسلام جعل للمرأة دوراً رسالياً خطيراً، وبالذات في أسرتها، وبالأخص مع زوجها، فهي ليست تابعة له بكل أفعاله، بل هي صاحبة دور رسالي تلتزم بداية بما تمليه عليها رسالتها قبل أي شيء آخر، وهنا كان ينبغي للمرأة (لحواء الرسالية) أن تتنبه لدورها وتقوم بواجبها الرسالي وهو نصيحة الزوج بعدم الأكل، والنصح له بعدم امتثال أمر يخالف مقتضى الرسالة، فلما قدر الشيطان على حواء أيضاً ووسوس لها، تنحّت عن هذا الدور، واتبعت الرغبات والأهواء بنزعة أنثوية لا رسالية، ولم تقم بواجبها في النصح، فَعُدَّ هذا الأمر المهم خيانة منها للزوج، ولذلك جاء في الحديث (لم تخن أنثى زوجها)، ولم يقل (لم تخن امرأة زوجها).

فالحديث فيه تحذير وتأصيل، من خلال ربطه بصاحبة الدور الرسالي الأولى، في أن لكل امرأة دورين؛ الدور الرسالي وهو الدور الأول والأصل والأساس لوجودها، وذلك

بمشاركتها الرجل الرسالي في حمل الأمانة وإعمار الكون. والدور الثاني وهو الدور الأنثوي اللازم لإمداد الإعمار واستمراره إلى ما شاء الله، ويحل في المرتبة الثانية لأنه خادم للدور الأول، وفيه النزوات والشهوات التي قد يضبطها الإسلام ويحددها ليكون أداؤها في دورها الرسالي يليق بمهمتها، فالدور الأنثوي يحث المرأة على التزين والتجمل وهو مركَّب في أنوثتها، إلا أنه إذا تعارض مع دورها الرسالي في أحد مناحي الحياة، تقدَّم دورها الرسالي. وقد طلب الإسلام من المرأة أن تلتزم بالحجاب الشرعي؛ لأن كشف أنوثتها خارج الوظيفة الرسالية يعيق عمل المرأة الرسالية، وبالتالي يرفض الإسلام للمرأة أن تكون أنثى تبدي زينتها ليستمتع بها الرجل الذكر -وليس الرجل الرسالي-، ويرتفع بها لتكون بحجابها ذاته ناطقة إنني امرأة رسالية لا امرأة أنثوية، ويسمح لها بإبداء زينتها أمام من لا يعيقون بنظرهم إليها دورها الرسالي.

ولهذا الفهم تأصيل لغوي؛ إذ تستخدم الخيانة بأكثر من معنى، إلا أن المعنى الأصيل للخيانة هو التنقّص كما يقول ابن فارس: "الخاء والواو والنون أصل واحد، وهو التنقص، يُقال خانه يخونه خوناً وذلك نقصان الوفاء، ويُقال تخّونني فلان حقي أي تنقّصني."[٥٠] والآيات واضحة في ذلك؛ إذ يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧) فالخيانة هنا بمعنى نقصان أداء ما أنتم مأمورون به. يقول الطبري في تفسير هذه الآية نقلاً عن ابن عباس: "لا تخونوا يعني لا تنقصوها."[٥١] ثم يقول: "فتأويل الكلام إذن: يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه، ولا رسوله من واجب طاعته عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه، لا تنقصوهما وتخونوا أماناتكم وتنقصوا أديانكم وواجب أعمالكم ولازمها لكم وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم."[٥٢] ولما كان القرآن لم يخبرنا من أمر آدم وحواء إلا بمسألة الأكل من الشجرة كخطأ ارتكب، وبيّن القرآن أن كليهما أخطأ، وكليهما وسوس له الشيطان، إلا إن القرآن من خلال قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١)

[٥٠] ابن فارس، أحمد. **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ج٢، ص٢٣١.
[٥١] الطبري، محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ج٩، ص٢٢٣.
[٥٢] المرجع السابق، ج٩، ص٢٢٣.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ (طه: ١١٥) وضع اللوم على آدم عليه السلام، وجاء هذا الحديث يلقي باللائمة على حواء وذلك بعدم أدائها الأمانة اللازمة بحقها في ذلك الموقف، وهي النصيحة لآدم عليه السلام. وقد أشار ابن الجوزي لذلك في كشف المشكل؛ إذ يقول: "وأما خيانة حواء زوجها فإنها كانت في ترك النصيحة في أمر الشجرة لا في غير ذلك."[٥٣]

هكذا ينبغي أن يفهم الحديث؛ أن فيه نوعاً من التقريع للمرأة التي تهمّش دورها الرسالي، ولا سيّما دورها الرسالي الأسري، ثم يؤسس أن المرأة الرسالية هي خاضعة أولاً لتعاليم رسالتها قبل خضوعها لرغباتها أو رغبات زوجها، وأنها حين تطيعه، تطيعه فيما كان موافقاً لأهداف رسالتها وغاياتها. وتخلّي المرأة عن دورها الرسالي مع زوجها بالذات(وهما نواة تكوين اللبنة الأساسية والخطيرة في المجتمع وهي الأسرة الرسالية) عدّه الرسول الكريم خيانة.

فالحديث لا يُلقي باللوم والتبعة على حواء فقط إذا لم تقم المرأة بدورها الرسالي، ولكن لما كانت هي الأنموذج الأمثل، والأول للمرأة الرسالية، وغفلت عنه في حالة ما من غياب هذا الوعي للدور وجموح الشهوات، إلا أنها سرعان ما استردّت هذا الوعي مع زوجها وتقبّل الله ذلك منهما، فهو أيضاً توعية لكل امرأة رسالية للرجوع إلى دورها إذا ما غفلت عنه في زحمة ضغوطات النزوات والشهوات، ولها في صاحبة الدور الرسالي الأولى قدوة، والله تعالى أعلم.

خاتمة:

يعد هذا البحث خطوة أولى في سلسلة تبني منهجية علمية للتعامل مع السنة النبوية بشكل عام، ومع الصحيحين بشكل خاص، ولا تكفي دراسة حديث واحد في ذكر مناحي هذه المنهجية، إلا أننا يمكن أن نقول بداية، لا قداسة لأي كتاب في ديننا، عدا

---

[٥٣] ابن الجوزي، أبو الفرج، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن، ط١، ١٩٩٧م، ج٣، ص٥٠٤.

القرآن الكريم، ومع احترام جهود علمائنا الجهابذة فهذا لا يعني أن نوافقهم في كل ما ذهبوا إليه. وما خلصنا إليه من منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين من خلال هذا الحديث هو:

١. على من يريد التوقف في حديث في الصحيحين عليه أن يدرسه دراسة علمية حديثية جادة سنداً ومتناً، ويجمع مروياته ويدرس طرقها ومتونها وظروف الرواية الزمانية والمكانية والشخصية، ويقف على أقوال العلماء فيه، ومعاني اللغة لألفاظه وتركيباته. وعدم الاكتفاء بنقولات السابقين وشروحهم للحديث.

٢. إن كان هناك أية محاولة جادة بمنهجية علمية لحل الإشكال من خلال فهم معين، أو تأويل قريب تحتملهما اللغة ويحتمله الحديث، يُصار إليه دون تسفيه للموافق أو المخالف.

٣. رفض التشنج لدى أي من الفريقين، فردّ الحديث لا يعني بالضرورة نوايا سيئة وخبيثة، خاصة عند من عرفنا غيرتهم على دينهم. وقبوله لا يعني بالضرورة أن من قُبل مخلص غيور على دينه بخلاف الآخر.

٤. إذا استكمل الحديث شروط الصحة سنداً ومتناً واستشكل قبوله عقلياً -إلا أنه غير مستحيل عقلاً- فلِمَ لا يُصار إلى دراسته دراسة جديدة بمنهجية علمية دون ردّه، حتى نصل إلى نتيجة: إما قبوله أو (التوقف فيه) عسى الله أن يفتح على أحدهم.

٥. هناك ثوابت: لا رد لحديث دون الرجوع لأهل التخصص، ولا طعن في الصحابي راوي الحديث المنتقد، ولا للإسرائيليات في شرح الحديث أو النص القرآني مهما استشكل فهمه، ولا عصمة لأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف الصالح.

٦. لا بدّ من فهم منهجية المصنف، الذي نطعن بإيراده رواية حديثية، فكثير ممن يطعنون في الحديث بحسن نية لا يفرقون مثلاً بين ما أورده البخاري تعليقاً، وما أورده أصولاً، أو بين الأصول والمتابعات، أو لا يدركون منهجية الإمام مسلم في اختيار ترتيب الحديث المعلل.